قصة قصيرة

الجبل الأخضر

محمد بن أحمد

طال على عبدالله الأمد ولا عمل له، فدفعته رتابة حياته إلى أن يتزوج ليبدل الجو كما كان يقول. فأصاب أرضاً خصبة لا ترى الغيوم حتى تنبت طفلاً أو طفلتين. كل ذلك وهو لا عمل له، إلا أنه يغدو إلى جاره فيلاعب أطفاله ويضحك من كل ما يقوله على سبيل النكتة ويشرب معه الشاي. وأنبتت الأرض الطيبة مرات متتالية ليس بينها فاصل زمني حتى لكأن الطفل لا يخرج من بطن أمه قبل أن يدفعه أخوه. كما تدفع السنُّ السنَّ، فتجعدت أفخاذ الأطفال وانتفخت بالمقابل بطونهم انتفاخاً شديداً وتهامس المتقوّلون بأن عبدالله قد انحطّ إلى طبقة الرعاة فأحفظ ذلك أبناء العشيرة... وكان سلام أخو العابد موظفاً بالعاصمة جاء ليزور أهله وهم من العشيرة في سيارة من هذه السيارات التي يصعب على البدو التميز بين مقدمّها ومؤخّرها قبل أن يركب فيها السائق.. سعى إليه من العشيرة رجال من خيرتها نسباً ومالا فقالوا: «يا سلام! لا حول لنا ولا قوة إلا بك».

فلم يدر بم يجيب. فقالوا: «يا سلام! سلنا ماذا تريد». «قال: ماذا تريدون؟ قالوا: إن أمر عبدالله إليك فهو ذو عيال وقد أملق إملاقاً شديداً، قال: ومن عبدالله؟» قال أكبرهم لحية وهو يبتسم: هو قريبك هذا؟ ألا تعرفه؟» قال سلام: «ومتى أصبح ذا عيال؟» قال أمسّهم قرابة بعبدالله: لقد اشتغل، هدانا الله وإياه منذ ثلاث سنوات، بما ليس يدري ما هو.. وله ثلاثة أطفال». قال: سوف أرى في أمره». فلما جنّ الليل أرسل إلى عبدالله وسأله سؤال المستعلي: أراغب أنت في العمل؟ قال: بلى. قال فاستعد للسفر مع ليلة السبت لعلّي أجد لك عملاً، فانصرف داعياً له بطول العمر وزف إلى زوجه النبأ فلا تسل عن فرحتها به، ثم أخذ دراعتين له فطواهما ووضع فوقهما وساداً جلس عليه لكي يخيّل إلى الرائي أن المكواة قد مستهما، وأوصته زوجته أن يرسل لها ـ حشايا وحصراً وعطوراً وحبلاً أخضر تجعله بين السماكين كما تفعل أم سلام، وأوصته أن يقتصد ليبني بيتاً كبيت أهل سلام، ثم استلفت من تاجرة الحي مائة غرام من الشاي وكلوغراماً من السكر على أجل أن يتقاضى عبدالله أجره».

ومضت أيام وعبدالله لم يرسل لزوجه حشايا ولا عطوراً ولا حبلاً أخضر، لأن سلاماً لم يجد له عملاً بالمؤسسة التي يديرها. فعند باب المدرسة حارسان، وأمام مكتب المدير بوّاب وأمام مكتب مدير الدروس آخر، فأين سيجعله؟ أخيراً خطر له أن يجعل باباً جديداً في مدخل الردهة المؤدية إلى جميع المكاتب وأن يجعله هناك، فلما علم عبدالله بذلك قال: ليس هذا ما أريد «قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن أكون كاتباً بالمدرسة».

- ليس بوسعي ذلك لأنك لا تحمل شهادة.
- لو كنت أحمل شهادة لكنت مديراً مثلك.
- وما يمنعك من أن تكون بوّاباً؟.
- يمنعني كون ابن النامي كاتباً وأهله كما تعلم كانوا رعاة لنا.

وحمل القادمون إلى زوج عبدالله رسالة ليست بها أوراق مالية كما تصورت بل يسألها فيها كما كتب بخطّ لا يقرأه غير المتخصّص في الهيروغليفية أن تبحث له عن مبلغ من المال يأجر به سيارة كي يعود إليهم.